ايضاح واصلاح

نشرت « الزهراء » الزاهرة مقالا للاستاذ عبد العزيز الراجكوتي بحث فيه عن حياة الأمير الإفريقي المعز بن باديس وعن حضارة القيروان في منتصف القرن الخامس للهجرة ، كما نشرت ملاحظات لصديقنا النحرير عبد الله مخلص حقق فيها بعض نقط تلك المقالة بوجه يناسب تدقيقه العلمي

واني قبل كل شيء أشكر همة الاستاذ الهندي على احيائه ذكرى صحيفة فاخرة من صحائف تاريخ بلادي ، على بعد ناديه من هذا النادي . واستسمح منه العفو في ابداء بعض الايضاح لما ورد في مقاله ، لاسيما وانه تفضل بالاعتماد على إحدى رسائلي في نقله ، واتخذها مستنداً من بين مصادره ، وهو كتيبنا « بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق »

فابتدي، بالملاحظة عن هذا الكُتيب الذي كنت حررته منذ خمسة عشر عاماً لموضوع مخصوص وباقتراح من الشبيبة القيروانية في عام ١٣٢٨ حينما عزمت على انشاء نادٍ أدبي لقبته باسم الشاعر القيرواني الكبير « ابن رشيق » فطلبت مني القيام بمسامرة في التعريف بهذا الاديب ، فكتبت عندئذ عجالة موجزة في الموضوع أضفت اليها ما تيسر من أخبار البيئة التي عاش فيها ابن رشيق ، ولم يكن يخطر ببالي وقت التحرير أنها تحظى بالنشر بعد حين ، ثم رغب الي بعض الاصدقاء في اظهارها فدُرجت ذيلا متتابعا باحدى جرائدنا اليومية ومثلت بعد قليل للطبع على حين غيابي عن الحاضرة التونسية بحيث لم يتيسر لي تصحيح مسودتها ولذا أتى عليها في الطبع من التحريف والتصحيف ما الله به عليم ، وقد أشير الى ذلك كله في ملحق ادرج بآخرها . ولم يخطر بذهني ان تلك العجالة — وان جمعت بعض الفوائد التاريخية — ستصبح مرجعاً معتمداً لدى الباحثين للاسباب التي

خدمت . ومهما يكن من الامر فاني أوافق تمام الموافقة صديقنا المخلص في ملحوظاته العلمية الرائقة واشاراته الثابتة المدرجة في العدد التالي من « الزهراء » الغراء

بقي عليّ أن انبه الاستاذ الهندي الى بعض الخطأ الوارد في مقاله المنشور بعددي « الزهراء » الاخيرين ، فأقول وبالله التوفيق :

ص ٨٦ ــ صحّح الاستاذ الراجكوتي أسماء أجداد المعز بن باديس فضبطها هكذا : « بُكْلِبْنَ بن زِيْرِي بن مَنّاد الصنْهَاجيّ » معتمداً في ذلك على ما رواه ابن خلكان [1] أو غيره ، فالاحظ أولا أن هذه الاسماء هي في الحقيقة بربرية وقد أخطأ ابن خلكان على جلالة قدره وغزارة علمه في نقله عن ابن دريد ــ من كتاب الاشتقاق أو غيره ــ اذ من البديهي أن يُرجع في ضبط مثل هذه الاعلام الى رواة أخبار المغرب كابن العذاري والتجاني وابن خلدون وأضرابهم ممن يتقن لغات الشلحة (لغة البربر) . فقد أورد ولي الدين ابن خلدون الاسماء الاربعة المتقدمة هكذا : « بلُكّين (بالكاف المعقودة المشددة) ابن زِيرِى بن مَناد (ولا وجود لاسم مِناد) الصنْهاجيّ . وكذا فعل ابن العذارى [2] في تلك الاسماء سوى أنه ضبط اسم بلكين بالجيم فرسمها (بُلُجّين) . اما في ضبط اسم صنهاجة فقد أزال الشيخ مرتضى الزبيدي الاشكال حيث قال [3] : « (وصِنهاجة بكسرهما غريق في العبودية ، وصنهاجة) قال ابن دريد بضم الصاد ولا يجوز غيره ، وأجاز جماعة الكسر ، قال شيخنا : والمعروف عندنا الفتح خاصة في القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره » وبالتالي يؤيد رواية هؤلاء الاعلام ماهو جار لحد الآن

(١) وفيات الاعيان طبع مصر سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٨٧ و ١٩٧

(٢) كـ « البيان المغرب في أخبار افريقية والمغرب » لابن العذاري المراكشي طبع ليدن سنة ١٨٤٨ ج ١ ص ٣٠٧

(٣) تاج العروس ج ٢ ص ٦٧ (مادة ص ن ج)

على السنة أمم البربر التي لم تعهد غير الشلحة الزناتية لغة فهذه الاعلام من أسمائهم الى ساعة التاريخ ولا نصيب لابن دريد أو لغيره في اشتقاقها

ص ٨٧ سطر ٩ ــ قال جناب الاستاذ ان المعز بن باديس « ملك من برقة الى فاس » (؟) ونحن مع محبتنا وتعظيمنا لذلك الامير العالم الجليل لا يسعنا إلا التنبيه على أن المملكة الصنهاجية الزيرية كانت لا تخرج عن حدود افريقية العربية القديمة بدليل قول ابن خلدون الذي استشهد به نفس الاستاذ « وكان المعز واسطة عقد آل زيري بل ملوك افريقية وبيت قصيدهم ولا يخفى أن افريقية لا تمتد نحومها الا من طرابلس الغرب شرقاً الى نصف مقاطعة قسنطينة اليوم غربا على التقريب وما أبعد قسنطينة عن فاس ! على أن هذا الملك مع قلة اتساعه لم يمنع المعز من أن يكون « أضخم ملك عرف للبربر بافريقية وأترفه وابنخه » كما شهد ابن خلدون وذلك لتوفر أسباب الثروة في البلاد حينئذ وغزارة عمرانها الزاخر

ص ٨٨ سطر ١ ــ كأني بالاستاذ طرقه الشك فيما ذكرت في البساط (ص ٥١) من أن بلاط المعز كان يجمع أكثر من مائة شاعر فعبر على قولنا «بالزعم» ونحن نؤكد له صحة هذا الخبر ، وما جمعنا من شعراء الدور الصنهاجي الثاني في كتابنا (ديوان الادب التونسي) ــ الذي لم يبرز تماماً لعالم المطبوعات ــ يؤيد دعوانا وزيادة

ص ٨٨ سطر ٩ ــ ورد لفظ « الخبائز » فيما نقل عن ابن خلدون ــ وهو لا معنى له ــ والصواب أن يقرأ « الجنائز » كما اشار اليه الاستاذ في تعليقه وكما هو نص النسخة المطبوعة في الجزائر من تاريخ ابن خلدون[1]

ويجب اصلاح ما جاء بعد العبارة المتقدمة وهو « مثل ما ذكر أن عطية

(١) تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب وهو القسم الاخير من كتاب العبر ــ طبع الجزائر سنة ١٢٦٣ ــ ١٨٤٧ بعناية المستعرب البارون دي سلان ج ١ ص ٢٠٤

صندل عامل باغانة مائة حمل من المال » والصواب : « مثل ماذكر أن هدية صندل (اسم رجل) عامل باغاية (مدينة بالمغرب الاوسط) [1] مائة حمل من المال وما بعدها يصلح هكذا : وان بعض نوابيت الكبراء منهم كان من العود الهندى بمسامير الذهب ، وان باديس أعطى فلفول بن سعيد (لا مسعود) الزناتى ثلاثين حملا من المال وثمانين ثخناً من الثياب »

ص ٨٩ سطر ٢ فيما يخص الهدايا والتحف الواصلة للمعز بن باديس من قبل الملوك والتي ألمعنا اليها في البساط ونقلها عنا نشير على الاستاذ بمراجعة تفصيلها في تاريخ ابن العذارى [2]

ص ٩١ سطر ٢١ ــ أما دعوى الاستاذ من أن : « أهل المغرب أولهم بالطلسمات والعُوَذ والرُّقى والشيوخ الكاذبين الغاصبين » فهذه قضية غير مسلمة تحتاج الى أدلة قوية لم يتحفنا بها جناب الكاتب ولعل ذلك لتعسر وجودها عليه ، ولذا وجب علينا أن نقول ان أهل المغرب ــ على ماهم عليه من بساطة الاخلاق ــ أشد الناس تمسكا بالسنة المحمدية السمحاء وأقلهم ميلا وانقياداً الى الاهواء المبتدعة والنحل المخترعة ولم يظهر في ديارهم منذ دخول الاسلام الى يومنا من الاديان المخالفة والمذاهب الخارجة ما تسبب في النزاع والتشاجر بين العناصر القاطنة بين المحيط الاكبر الى برقة . يكفينا دليلا شدة مقاومتهم للآراء الشيعية والنزعات القرمطية التي حاول الامراء العبيديون ادخالها في بلاد المغرب بقوة سيوفهم وبلاغة دعاتهم فكان نصيبهم بعد العناء والشقاء الخيبة التي لا نجاح معها حتى اضطروا ــ لاظهار مبادئهم ونشر دعوتهم ــ الى الانتقال الى الديار المشرقية فتمكنوا حينئذ من ارساخ مبتدعات الاسماعيلية والحاكمية وغيرها كثير

(١) لم تزل باغاية موجودة لحد الآن ــ راجع التعريف بها في كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى طبع باريس سنة ١٩١١ ص ٥٠

(٢) البيان المغرب ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٣ وخصوصا ٢٨٦

ولا فائدة في اطالة الكلام هنا ولنطو هذه الصحيفة بالتأمين على الدعاء الذي دعا به الاستاذ : « هدانا الله وإياكم الى سواء الصراط ! »

ص ٩٢ سطر ١٨ ــ نشارك صديقنا العلامة المخلص في اصلاحه للفظ الطراز لاسيما وقد ورد بحرفه في تاريخ ابن خلدون [١] قال : ومما اسمه من الطرز والسكة

ص ٩٣ سطر ٧ ــ هنا يجب رفع اللثام عن نقطة تاريخية خاض فيها كل من الاستاذ والعلامة المخلص الا وهي السنة التي قطع فيها المعز علائقه مع الخلافة الفاطمية وأبطل ذكر أسمائهم من أعلى المنابر الافريقية وما تسبب عن ذلك الحادث من توحيد المذاهب السنية بالبلاد المغربية . وما علينا الا أن نعتمد في ذلك على ما نقله ابن العذارى المراكشي فانه قال [٢] ناقلا عن ابن شرف (ورب الدار أدرى بما فيه) : « وفي سنة ٤٣٦ مات الجرجرائي بمصر . . .

« وفي سنة ٤٤٠ قطعت الخطبة لصاحب مصر واحرقت بنوده . قال ابن شرف : وأمر المعز بن باديس بان يدعى على منابر افريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة العبيديين فدعا الخطيب للخلفاء الاربعة وللعباس ولبقية العشرة رضي الله عنهم » قال ابن شرف : وأمر المعز بلعنهم في الخطب وخلعهم ؛ ولما كان عيد الاضحى أمر الخطيب أن يسبَّ بني عبيد ، فقال » : اللهم والعن الفسقة الكفار المارقين الفجار ، أعداء الدين وأنصار الشيطان المخالفين لامرك والناقضين لعهدك ، المتبعين غير سبيلك ، والمبدلين لكتابك ! اللهم والعنهم لعناً وبيلا ، واخزهم خزياً عريضاً طويلا ، اللهم وان سيدنا ومولانا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك ، والناصر لسنة نبيك ، والرافع للواء أوليائك يقول مصدقاً لكتابك ، وتابعاً لأمرك ، مدافعاً لمن غير الدين ، وسلكَ غير سبيل الراشدين المؤمنين : (يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) هكذا ذكر

(١) طبع الجزائر ١ : ٢٠٥ (٢) البيان المغرب ج ص ٢٨٨ وما بعدها

باسقاط « قل » وآخرها

قال : « وأمر الامير أبو تميم المعز الخطيب أن يسبهم على منبر القيروان بلشنع من هذا السب فلما كان لجمعة أخرى أبلغ فى ذلك بما فيه شفاء لنفوس المؤمنين! » أقول: وقد وصل الينا من حملة المعز بن باديس على بني عبيد ومذهبهم أثر من الاهمية التاريخية بمكان مكين : الا وهو نص لعن المعز للملوك الشيعة مرسوم بخط يده على الورقة الاولى من مصحف جليل حبسه المعز بن باديس على جامع القيروان ، ونص عبارته :

« يقول عبد الله ووليه المعزّ لدينه :

أشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وأن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضى الله عنهم أجمعين

« اللهم العن بني عبيد أعدائك وأعداء نبيك . نفضنا الله ببغضهم أجمعين » !

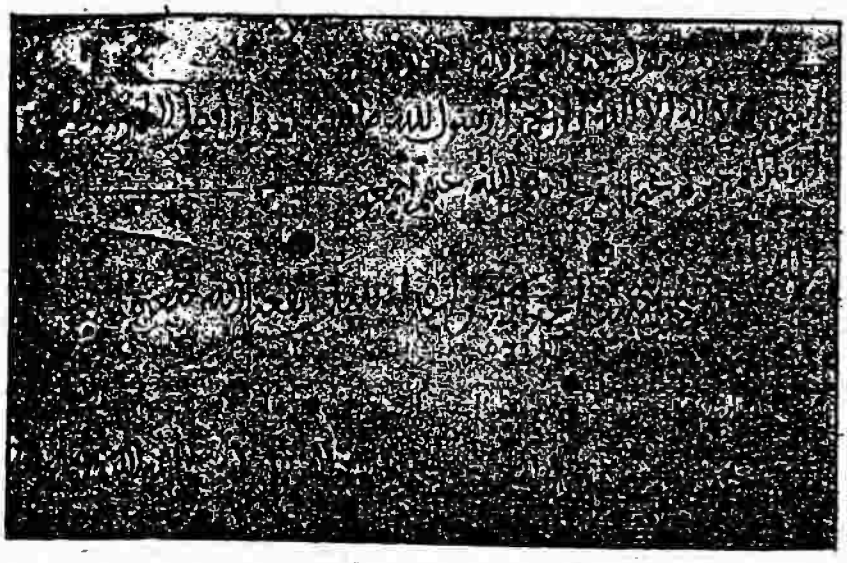

صورة الرق المحفوظة بمكتبة جامع عقبة بالقيروان

يرى القارىء من النصوص المختلفة المتقدمة أن ما أشار اليه الاستاذ الهندى من أن المعز بن باديس « لم يصرح باسم عبيد الله أو خلفائه » حين لعنهم (ص ٩٣ من الزهراء) لا يصح تاريخياً بل كان الامر خلاف ذلك على خط مستقيم وعلاوة على ذلك فقد خلد لنا التاريخ شاهداً ثابتاً آخر لا تقل أهميته عما تقدم اذ كان شاهد عيان ممن حضر تلك الوقائع وعاين تلك القماقع ألا وهو الدينار الذى ضربه المعز بن باديس حينما خلع أواصره من الدولة الفاطمية بمصر . روى ابن العذاري [1] :

« ذكر تبديل السكة عن بنى عبيد — قال أبن شرف : وفى هذه السنة [أى ٤٤١] أمر المعز بن باديس بتبديل السكة في شهر شعبان فنقش على الازواج [وهي دوائر وسط الدينار] في الوجه الواحد : « ومن يَبْتَغ غيرَ الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » — وفي الوجه الثانى « لا اله الا الله محمد رسول الله » وضرب منها دنانير كثيرة ، وأمر أيضاً بسبك ما كان عنده من الدنانير التى عليها أسماء بني عبيد فسبكت وكانت أموالا عظيمة ثم بث فى الناس قطعَ سكتهم [أي سكة العبيديين] وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله .

« وقد كان قطعَ أسماءهم من الرايات والبنود ، وكان مبتدأ ضرب السكك بسماء بني عبيد الله ورسمها في الرايات والطرز سنة ٢٩٦ الى أن قطعها المعز المذكور سنة ٤١ المذكورة ، وذلك سنة ٤٤٥ »

أقول من منن الله علىّ أن عثرت على دينارين من الدنانير المعزية الصنهاجية المشار اليها هنا (رقم ٢٨٣ ورقم ٢٨٤ من مجموعتي الخصوصية) وهما على وصف .

(١) البيان المغرب ج ١ ص ٢٨٩ (٢) البكري ص ٢٥

ابن شرف فيما تقدم عدا أن الدائرة الاولى بالوجه الواحد فيها (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) — وفي الدائرة الاولى من الوجه الثاني « بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة عز الاسلام والمنصورية سنة خمس وأربعين وأربعمائة » والمقصود بمدينة عزّ الاسلام، هي القيروان حين استقل بها المعز واتصل بناؤها بصبرة المسماة ايضاً المنصورية ولم يبق فاصل بين المدينتين سوى السور الذي احدثه المعز سنة ٤٤٤ كما أشار اليه البكرى في مسالكه [1] وهذه الدنانير من أجمل ما رأيت صفاء ونقشاً وسماحة

ص ٩٣ سطر ١٤ — ما ذكره الاستاذ من تفاخر المعز بن باديس على المستنصر الفاطمي بمكاتبته عبارة « انكم لم تنالوا ما نلتم من الملك الاّ بمعونة آبائي » وشرحها الاستاذ بقوله : وان كانت جملته هذه لم تجانب الصواب لان عبيد الله كان أتى من المشرق وكان أنصاره قبائل صنهاجة من البربر وهم اخوان المعزّ وعشيرته » الاحظُ : ان المعز انما أشار فيما كتبه الى تخليص الدولة العبيدية مدة ثاني وثالث ملوكهم وهما القائم والمنصور من الثورة الشعواء التي أثارها أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي تلك الثورة التي كادتْ تقضي على سلطان الفاطميين بافريقية لولا نصرة قبيلة صنهاجة — عشيرة المعز — ونجدتها لمدينة المهدية في حين لم يبق بيد الفواطم سوى أسوار هذه العاصمة . والاّ فان صنهاجة لم تكن تشارك البتة في تأييد دعوة العبيديين عند ظهور عبيد الله المهدي بالمغرب . أما أنصارهم الاولون فكانوا كتامة القاطنين بجبال أوراس . وتفصيل ذلك كله مبسوط في المطولات من أمهات التاريخ فلتراجع هنالك

ص ٩٥ سطر ٦ — ذكر الاستاذ — ناقلا عن ابن الاثير وميكالي آماري — أسماء بعض القواد المسلمين الثائرين بصقلية ومن بينهم ابن الحوّاس ، ثم بعد رسمه هكذا وضع هذا الاسم بين قوسين قائلا (او الجوّاس) كانه تطرقه الشكّ

(١) البكرى ص ٢٥

في صورة رسمه مع ان المورخين اللذين اعتمد عليهما وسائر من ذكر حوادث صقلية الاسلامية قيدوا هذا الاسم بذلك الرسم فلم نفهم معنى لهذا الشك

ص ٢٠٢ سطر ١٢ ــ تعرّض الاستاذ الراجكوني في القسم الثاني من مقاله الى هجوم قبائل بني هلال وبني سليم وزغبة على افريقية وملاقاتهم بجيش المعز قريبا من « حيدران » حسبما نقله ابن خلدون وغيره وطرقه الشك في هذا الاسم العلم فألحقه بقول : « أو جندران » وهو تصحيف فادح في نسخة الكامل لابن الاثير المطبوعة ولو تتبعه في غير هذا المصدر ــ حتى في خلاصتنا لتاريخ تونس ــ لوجده في كل مكان (حِيدَران) بلا اختلاف ولا شك الاّ ما ذكرنا من التصحيف الحاصل غلطا في الكامل. وحيدران اسم فحص متسع به أودية خصبة على الجادة الموصلة من قابس الى القيروان ويعرف اليوم باسم (وِدْرَانْ) مشهور بمراعي الاغنام

ثم تعرّض الاستاذ الى انتصار القبائل الاعرابية المهاجمة على جيش المعزّ وعلّل سبب انهزام المعز وجيوشه بقوله : « الاّ ان فشل صنهاجة وتواكُلَهم جلب له عاراً باقياً » وقال بعد ذلك بثلاثة اسطر : « ... وثبت غلمانه وقبائل زناتة الا ان صنهاجة غدروا بهم على عادتهم (؟) فانهزم بمن معه » وهذا التعليل مخالف تمام المخالفة للحقيقة التاريخية ولنفس ماقدّم الاستاذ من ان قبيلة صنهاجة كان منها أباء المعز وعشيرته وعترته التي يفتخر بها على العبيديين

ولو تفضل جنابه بتتبع ما قاله ابن خلدون وغيره من رواة الاخبار ــ وحتى بساطنا البسيط ــ لما تحقق ان السبب في تقهقر المعز أمام الهلاليين وعصابتهم هو انخذال قبيلة زناتة في موطن الوغى وانضمامهم الى صفوف الاعراب لما كانت تكنّه صدورهم من قديم العداوة لقبيلة صنهاجة، تلك العداوة التي حاربها المعز نفسه مراراً والتي منشاها بغض البدوي للحضري اذ ان زناتة رحالة وصنهاجة

حضر متمصرون من قديم الزمان

ص ٢٠٤ سطر ٦ ـ ذكر الاستاذ أن موت الامير يحيى بن علي بن تميم بن المعز بن باديس كان سنة ٥٦٣ والصواب ان هذا الامير الصنهاجي توفي بالمهدية يوم عيد الاضحى من سنة ٥٠٩ والذي مات في عام ٥٦٣ هو آخر الامراء الصنهاجيين من بني زيري الحسن بن علي المتقدم ـ فليحرر

ص ٢٠٩ سطر ١٥ ـ ذكر في جملة التواريخ المؤلفة في القيروان (٦) طبقات علماء افريقية لأبي العرب محمد بن احمد التميمي وأشار في تعليقه أنه أخذ اسم هذا الكتاب من الديباج لابن فرحون ، ولم ينتبه الى ان هذا التصنيف طبع بالجزائر سنة ١٣٢٢ مع طبقات علماء افريقية « للخُشَني بعناية صديقنا العلامة الشيخ محمد بن أبي الشنب ، فليراجعه الاستاذ ان شاء

ص ٢١٠ سطر ١٢ ـ ان من جملة شعراء القيروان الذين اوردهم في سطر واحد « أبا لقمان الصفار والدركادو الكموني » والصواب انهم ثلاثة شعراء مختلفون: (١) أبو لقمان الصفار (٢) والدركادو [وهو عبد الملك ابن محمد المعروف بالدركادو القيرواني] (٣) والكموني [وهو محمد بن ابراهيم شهر الكموني التميمي] .

ص ٢١١ سطر ١ سمّى أيضاً من بين شعراء القيروان : عبد العزيز بن خلوف الجروي » والتحقيق هو الحروري النحوي .

وقد أفردت لكل من هؤلاء الادباء ترجمة مطوّلة واوردت من أشعارهم بقدر ما أمكنني العثور عليه في تأليف ضخم وسمته (بديوان الادب التونسي) وقد سمحت الظروف بنشر البعض من تراجمهم في مجلاتنا ونشرياتنا الادبية التونسية كمجلة (البدر) و (العرب) وغيرها .

هذه ملاحظاتنا التي نبديها الى الاستاذ الراجكوتي راجين من جنابه ان لا

يرى فيها الا مجرد تعلقنا بالبحث والوقوف على الحقيقة من غير ان يكون في ذلك ادنى شائبة للغرض النفساني

وعلى كل حال فاني اكرر له شكري على عنايته بخدمة التاريخ الاسلامي الافريقي ، ذلك التاريخ الذي تنوسى عهده وانطمس رسمه .

ألهمنا الله واياه اعلاء الحق والتواصل عليه ، ودلّنا سبحانه على ما فيه الخير والفلاح ، بمنه تعالى وفضله

تونس : في جمادى الاولى ، ١٣٤٣ حسن عبد الوهاب

قبة الخزائن فى الجامع الاموي

يوجد فى صحن مسجد بني أمية بدمشق على مقربة من زاويته التى بين الشمال والغرب قبة تسمى (قبة الخزائن) وكان يظن أنه لا يزال فيها كثير من المحفوظات باقية من زمن بني أمية . فسعى الالمان لدى السلطان عبد الحميد فى فتحها . وكان شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ممن دعته الحكومة يومئذ لأن يحضر فتحها . فكتب في تذكرته يقول :

في يوم السبت ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٧ فُتحت (قبة الخزائن) فى الجامع الاموى بارادة سنية فى حضور ناظم باشا والى الولاية ، مع جمع جم من الأعيان ، وكان الذى رأيناه أجزاء من مصاحف شتى كلها كوفية الخط . وكان أول آية خرجت معنا « فلِمَ تُحاجُّونَ فيما ليس لكمْ بهِ عِلمٌ والله يَعلمُ وأنتم لا تعلمون » . وخرجت ورقة تتضمن الشهادة بالحج والعمرة لصاحبها . وخرج جزء مكتوب عليه « انه حبس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليه وعلى أبنائه الأئمة سنة نيّف وسبعين وأربعمائة »